الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وأثره في تعميق الإيمان

د. عبدالكريم نوفان عبيدات

مقدمة البحث:

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الهدى، الذي أيده الله بالقرآن، معجزة تقاصرت عن مضاهاتها الهمم، وتضاءلت أمام عليائها النفوس، وبعد:

فإن موضوع الإعجاز العلمي: هو لون من ألوان الإعجاز العديدة لكتاب الله وسنة نبيه، ولقد قدّم القرآن والسنّة قطوفاً من الإعجاز العلمي، بقيت خافية على البشرية قروناً عديدة، حتى جاء عصر الاكتشافات العلمية معلناً هذه الحقائق، ومعبراً عن دهشة العلماء لهذا السبق الذي جاء به الوحي على محمد ﷺ.

ولقد اجتاحت البشرية اليوم موجة إلحادية رهيبة، ومادية إباحية، كانت نتاجاً مرا للثورة الصناعية التي حدثت في الغرب أواخرَ القرن الثامن عشر الميلادي.

وإذا كان الصدام بين الدين والعلم له مبرراته في الغرب حين هاجم رجال الدين النصارى يومها العلماء الذين قالوا بكروية الأرض، وهددوهم بالحرق، وكان هذا الموقف يمثل حماقة شنيعة، لأن الدين الصحيح لم يحرم البحث العلمي، وإنما دعا إلى البحث والنظر والتعرف على نواميس الله في الكون، واستثمار ذلك فيما يعود على البشرية بالخير.

إذا كان ذلك الصدام له مبرراته فيما يتعلق بدين حارب العلم، فإن الأمر

(*) قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية - جامعة الملك سعود - الرياض.

مختلف تماما فيما يتعلق بالإسلام، إذ أن الإسلام لم يحارب العلم في يوم من الأيام. بل احتضن العلم في أول آيات تتنزل على الرسول ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾(١) وأطلق طاقات العقل، ودعاه للنظر في الكون: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾(٢). ونعى على التقليد والتخمين والظن بغير دليل، بل إن القرآن يعد الإنسان بالكشف عن دلائل وحدانية الله في الآفاق والأنفس: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾(٣)، وهي دعوة واضحة للتعرف على ما في الكون والأنفس من دلائل قدرة الله سبحانه، وصولا إلى يقين لا تزلزله الشبهات، ولا تتمرد عليه الحضارات.

وتأتي الحقائق العلمية التي وردت في القرآن والسنة التي كشف عنها العلم اليوم تنبيها للغافلين، وصحا كثير من مفكري الغرب، فإذا بهم يعلنون بخشوع، أن الكون من حولنا مليء بالأسرار، بل إن أنفسنا التي بين جنبينا سجل حافل بآيات القدرة الإلهية، وإذا بهم يعلنون بانكسار عجزهم، وأن فوق كل ذي علم عليم.

لقد درس بعض مفكري الغرب القرآن وسنة رسول الله - ﷺ - فوجدوا تطابقاً بينها وبين ما وصلوا إليه من اكتشافات علمية، فأعلن بعضهم إسلامه، ووجهوا اللوم للمسلمين لأنهم تأخروا - بل ضعفوا - عن دعوتهم للإسلام.

إن أسرار القرآن والسنة بدأت تتكشف أولاً بأول، مقدمة شهادة على أن القرآن الكريم كلام الله، وأن محمداً رسول الله حقاً.

وهذا البحث جهد متواضع، لعلّه يسهم في حفز الهمم نحو التعرُّف على دلائل الإعجاز الإلهي في الكتاب المسطور، والكون المنظور، فتشرق الفطرة بنور الرضا واليقين.

وقد قسّمت هذا الموضوع إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المعجزة وشروط تحققها.

---

(١) سورة العلق، الآية ١

(٢) سورة يونس، الآية ١٠١

(٣) سورة فصّلت، الآية ٥٣

المبحث الثاني: التوافق بين الإسلام والعلم.

المبحث الثالث: معنى الإعجاز العلمي للقرآن والسنّة. مع عرض لنماذج لما تحقق من المعجزات العلمية فيهما.

المبحث الرابع: أهمية الإعجاز العلمي في الوقت الحاضر.

المبحث الخامس: دور المؤسسات العلمية والإعلامية في تأصيل العقيدة عن طريق الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة.

الخاتمة: لخّصت فيها النتائج التي توصلت إليها.

المبحث الأول
تعريف المعجزة وشروط تحققها

تعريف المعجزة لغة:

العجز: الضعف، وهو نقيض الحزم، يقال: عجَّز فلان رأي فلان: إذا نسبه إلى خلاف الحزم، كأنه نسبه إلى العجز.

والمَعْجَزَة: مفعلة من العجز، وهو عدم القدرة، والتعجيز: التثبيط. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾(٤) هو ظنُّ الكافرين أنهم لا يبعثون، وأنه لا جنّة ولا نار.

وَعَجَزَ، يَعْجِز عن الأمر: إذا قصَّر عنه، والمُعجِزة: واحدة معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهي ما أعجز الخصم عند التحدي(٥).

ومما تقدم يتبين أن المعجزة في اللغة مشتقة من العجز، الذي يفيد الضعف وعدم القدرة على مضاهاة الشيء.

معنى المعجزة في الاصطلاح:

تكاد تعريفات العلماء للمعجزة تجمع على أنها: الأمر الخارق للعادة، المقترن بالتحدي، السالم عن المعارضة، يظهره الله على يد رسله عليهم الصلاة والسلام، تصديقاً لهم على نبوّتهم، ولتكون إلزاماً للمعاندين المكابرين(٦).

ومن هنا فلا بد أن تتحقق في المعجزة جملة شروط، منها:

١ - أن تكون خارقة للعادة: بمعنى أن البشر لم يألفوا ما جاء به الرسول، ولن يألفوا ذلك مستقبلاً، فلو ألف البشر ذلك لما كانت معجزة، وذلك

---

(٤) سورة الحج، الآية ٥١

(٥) انظر: ابن منظور: لسان العرب، والفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (عجز).

(٦) انظر: السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ١١٦، بيروت، المكتبة الثقافية ١٩٧٣

كبعض المعجزات الحسيّة التي ثبتت للرسل - عليهم السلام - مثل: عدم إحراق النار لإبراهيم - عليه السلام - وعدم إغراق الماء لموسى - عليه السلام - وقومه عندما اتبعهم فرعون بجنوده.

أو أن تكون معجزة معنوية، كالقرآن الكريم الذي جعله الله معجز لنبينا محمد - ﷺ -، فقد كان خارقاً لما ألفه العرب وغيرهم من الأمم يوم أن نزل على نبيّهِ وإلى قيام الساعة.

٢ - أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٧) فإن المعجزات هبة من الله لرسله، لا يستطيع أحد أن يختار نوعها والزمان الذي تقع فيه.

٣ - أن تكون سالمة عن المعارضة، بمعنى ألا يقدر أحد على الإتيان بمثلها، فلو قدر الخصم على الإتيان بمثل ما جاء به الرسول بطلت حجته في ادعائه النبوة.

٤ - أن يقع بها التحدي، فإن عدم التحدي لمعجزة لا يبرزها كدليل وبرهان على صدق مدعي النبوّة.

٥ - أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عزّ وجل، أي ينسب وقوعها إلى الله سبحانه، لأن الله بعث رسله بالدعوة إلى وحدانيته وأيدهم بالمعجزات كدليل صادق على نبوّتهم، فلو نسبوا المعجزات لغير الله - وحاشاهم أن يفعلوا ذلك - بطل الاحتجاج بها(٨).

معجزات الرسل من جنس ما اشتهر به أقوامهم:

الناظر في معجزات الأنبياء - عليهم السلام - يجد أنها من جنس ما اشتهر به

---

(٧) سورة غافر، الآية ٧٨

(٨) انظر ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، مجموع الفتاوي، ج ١١ ص ٣١١ وما بعدها: وإبراهيم اللقاني، جوهرة التوحيد مع حاشيتها: تحفة المريد، للبيجوري ص ١٣٣ - ١٣٤، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ود. مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص ١٥ - ١٧، جدة - السعودية.

أقوامهم، ليكون ذلك أبلغ في التحدي، ويكون تأثير المعجزة حاسماً في نفوس من تتنزّل عليهم، لأن تحدي كل قوم بما يحسنون وعجزهم عن مضاهاة ذلك: دليل على أن ما جاءهم به رسولهم خارج عن قدرتهم، إذ لو قدروا على الإتيان بمثل ما تحداهم به رسولهم لفعلوا، وهم أحوج إلى ذلك.

ويذكر الأستاذ محمد رشيد رضا «أن ما أيد الله تعالى به رسله من الآيات كان مناسباً لحال زمان كل منهم وقومه، وقامت الحجة على من شاهد تلك الآيات في عهده. وقد علم الله تعالى أن سلسلة النقل ستنقطع، وأن ثقة بعض المتأخرين به ستضعف، وأن دلاتها على الرسالة ستنكر، فجعل الآية الكبرى على إثبات رسالة خاتم النبيين علمية دائمة لا تنقطع، وهي هذا الكتاب المعجز للخلق، بما فيه من أنواع الإعجاز»^(٩).

ويذكر السيوطي: أن «أكثر معجزات بني إسرائيل حسية، لبلادتهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية، لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة، خصت بالمعجزة العقلية ليراها ذوو البصائر»^(١٠).

ومن هنا فإن القرآن الكريم قد اشتمل على ألوان مختلفة من الإعجاز: اللغوي والتشريعي والتاريخي والعلمي، وهذه الأنواع جميعها معجزة لكل من خوطب بالقرآن، إذ أن كل نوع منها دليل صدق على نبوّة محمد ﷺ.

وليس من هدفنا في هذا البحث الحديث عن أنواع الإعجاز في القرآن، وإنما نتعرض للإعجاز العلمي، لأنه هو المقصود هنا.

---

(٩) محمد رشيد رضيا: تفسير المنار، ج ١ ص ٢١٨، مكتبة القاهرة ط ١.

(١٠) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج ٢ ص ١١٦، بيروت، المكتبة الثقافية ١٩٧٣.

المبحث الثاني
التوافق بين الإسلام والعلم

يظن بعض الناس أن الإسلام يصادم العلم، وهذا ناشيء عن مقررات سابقة في أذهان هؤلاء، وهي أن الدين والعلم لا يتفقان، وذلك أن ممارسات رجال الدين النصارى في أوروبا - في العصور الوسطى - وفرضهم على الناس خرافات علمية يجب التصديق بها باسم الدين - هي التي جعلت الناس بعد قيام الثورة الصناعية في الغرب يتنكرون للدين - أي دين - ولو كان صحيحاً. وقد آن الأوان لتصحيح هذه النظرة فيما يتعلق بالإسلام على وجه الخصوص.

فالإسلام لم يكن عدواً للعلم في يوم من الأيام، بل كان حاضناً له في أول آيات تتنزل على محمد ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ② ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ③ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ④ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ⑤﴾(١١).

ومن هنا لا يمكن التصادم بين حقيقة علمية وآية قرآنية قطعية في دلالاتها، ولا بين حقيقة علمية وحديث نبوي قطعي الدلالة والثبوت أيضا، ذلك أن الحقيقة العلمية والوحي بقسميه صادران من أصل واحد، فالحقيقة من الله، فهو الذي جعلها كذلك، ودور الإنسان أن يكشف عنها، لا إيجادها، والوحي كذلك، «وإذا لوحظ أن هناك اختلافاً، فليس بين علم ودين، بل بين دين وجهل أخذ سمت العلم، أو بين علم ولغو لبس سمة الدين، وسترى أن القرآن مستقيم - كل الاستقامة - مع كل الكشوف التي يميط العلم عنها الستار، وذلك - لا ريب - من دلائل صدقه، وآيات إعجازه»(١٢)،

وإذا أخبرنا الله عن شيء في كتابه، فلا بد أن يكون ذلك مطابقاً لما هو في الواقع، لأنه يستحيل الجهل أو الكذب على الله سبحانه.

---

(١١) سورة العلق، الآيات: ١ - ٥

(١٢) محمد الغزالي: نظرات في القرآن ص ١٣٧، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ط ، . ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢

كيف ندفع التعارض الظاهري بين الدين والعلم في حالة وقوعه؟

الأصل في علوم الشريعة أنها نقلية، والأصل في العلوم الكونية أنها عقلية، لأنها تعتمد على البحث والنظر.

والنقلي الشرعي: منه ما هو قطعي الثبوت، كالقرآن، والسنّة المتواترة، ومنه ما هو ظِنّي الثبوت، كبعض أحاديث الرسول - ﷺ -، إذا لم تثبت نسبتها إليه.

ومن الشرعي: ما هو قطعي الدلالة، لا يحتمل سوى معنى واحد، وذلك كأركان الإيمان، وأصول العبادات، والمحرمات في النكاح، والأنصبة المفروضة في الميراث، والعقوبات النصيّة على الجرائم الكبرى، وهذا النوع لا مجال للاجتهاد فيه.

ومن الشرعي - أيضا -: ما هو ظني الدلالة، يحتمل أكثر من معنى، وهو عامة ما ورد في القرآن والسنّة، وهذا هو الذي كان مجالاً لاجتهاد العلماء.

وفي المقابل، فإن العلوم العقلية منها: ما أصبح حقيقة علمية قطعية بالاستقراء والتجربة والحس، ككثير من المكتشفات العلمية التي توصّل العقل إليها في الوقت الحاضر.

ومن العلوم العقلية: الظني، الذي لا زال نظريات قابلة للبحث، ويترجح لدى العلماء فيها شيء، ولكنهم لا يقطعون به، فقد تكشف لهم التجارب العلمية عن شيء آخر سواه، حتى يثبت، ويصير حقيقة علمية.

والمشكلة قد تأتي من الخطأ في فهم النص الديني الثابت، وفهم النص عمل اجتهادي، قد يصيب وقد يخطيء، ولكن المخطيء هو الإنسان غير المعصوم الذي اجتهد في فهم النص، وفي هذه الحالة علينا أن نراجع فهمنا للنص، ونعيد تدبرنا له، حتى نصل إلى المعني اليقيني، الذي تم الوصول إليه عن طريق الإدراك الحِسّي أو الإدراك العقلي.

وقد تأتي المشكلة من أن النص الديني قد يكون غير ثابت ثبوتاً قطعياً(١٣)، لأنه لم تتوافر له الروايات الصحيحة التي تجعله قطعي الثبوت، ويدهي - في هذه الحالة - أن يكون الدليل الحسّي اليقيني أو الاستدلال العقلي من دليل الخبر الظنّي، لأنه لم يبلغ درجة القطع.

وفي هذه الحالة: إن أمكن تأويل النص مع ما يتفق مع النتائج اليقينية - التي توصّل إليها العقل بالتجارب - أوّلناه، بما لا يتعارض مع نصوص الشريعة بشكل عام، وإلا أخذنا بالنتائج اليقينية حتماً، وتركنا دلالة النص، لأن قبولنا له من أساس قد كان بصفة ترجيحية، لا بصفة قطعية.

«فإذا سأل سائل فقال: هل لنا أن نؤوّل النصوص الدينية أو نخصصها بدليل الحسّ أو بدليل العقل، حتى تكون دلالتها مطابقة للواقع والحقيقة؟

فالجواب: جواز ذلك حتماً، لأن علماء الأصول يقولون: (لا خلاف في جواز تخصيص العموم)، ويقرِرّون في أبواب تأويل الظاهر: (أنه يجوز التأويل، متى كان دليله أرجح من دليل العمل بالظاهر، ويجب التأويل متى كان دليله قاطعاً لا يجوز العدول عنه)، ويذكرون من أدلة تخصيص العموم: (دليل الحس، ودليل العقل)، ونظير ذلك يكون في تأويل الظاهر، فيتم التأويل بناء على دليل الحس. أو دليل العقل»(١٤)،

فلقد ورد في القرآن من الآيات المجملة، الظنّية الدلالة، ما يدل على أن الأرض مبسوطة وممهّدة، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩﴾(١٥)، وقوله: ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾(١٦)، ثم أثبت العلم

---

(١٣) وهذا يقتصر على بعض أحاديث الرسول ﷺ دون القرآن، لأن القرآن كله قطعي الثبوت.

(١٤) الميداني: عبدالرحمن حسن حبنكة، صراع مع الملاحدة حتى العظم، ص ٣٨، دمشق، دار القليم، ط ١. ١٣٩٤ - ١٩٧٤.

(١٥) سورة نوح، الآية: ١٩

(١٦) سورة الغاشية، الآية: ٢٠

كروية الأرض، ولم يكن هناك تعارض مع الآيات، لأن الأرض مبسوطة، متسعة، مسطحة في مرأى العين، لا يراها الإنسان أمام نظره إلا كذلك، وقد ذللها الله لعباده كالفراش يستقرون عليها، وجعلها ممهّدة، موطأة، كالمهد للصبي، وهو لا يتنافى مع كروية الأرض.

ومجمل القول في هذه المسألة: أنه قد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا في القطعي، فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤول الظني منها ليتفق مع القطعي، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع، حتى يثبت العقلي أو ينهار.

فإذا تعارض قطعي شرعي مع نظرية علمية، أخذنا بالقطعي الشرعي، لأنه اليقين الثابت، وآمنا بأنه واقع لا ريب فيه، لقوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾(١٧). وقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾(١٨)، فإن العلم لم يصل إلى اكتشاف كل شيء، وقد يكتشف اليوم أمراً، يضعه موضع التجربة، ثم يتبين خلافه.

وإذا تعارض ظنّي شرعي مع نظرية علمية ظنيّة، فإننا نظل مع الظني الشرعي، دون تكذيب للظني العلمي، فإذا ثبت أن أحدهما هو القطعي، عندئذ يكون هو المقدم، لكونه قطعياً.

وإذا تعارض الظني الشرعي مع القطعي العلمي، فإننا نؤمن بالقطعي العلمي، ونؤوّل - في هذه الحالة - الظني الشرعي بما يوافق الحقيقة العلمية القاطعة، كما قدمنا قبل قليل(١٩).

---

(١٧) سورة الأنعام، الآية: ٦٧

(١٨) سورة ص، الآية ٨٨

(١٩) لابن تيمية كتاب قيم اسمه «درء تعارضه العقل والنقل» بيّن فيه بشكل مفصّل دفع التعارض بين العقل والنقل، راجع ج ١ ص ٨٦ وما بعدها، بتحقيق د. محمد رشاد سالم.

وينبغي التنبه هنا أنه من الخطأ أن نحرص على تأويل النصوص الشرعية بما يتفق مع كل نظرية علمية جديدة، لتأييد الإسلام، كما هو مسلك بعض المسلمين، الذين يسارعون إلى الاستشهاد بهذه المقولات العلمية التي لم تثبت بعد، فإن النظريات الظنية تتجدد وتتبدل، ويقوض بعضها بعضاً، وهذا المسلك - مع ما فيه من هزيمة نفسية، وإجلال للعلوم الكونية - يؤدي بنا إلى التأويل المستمر للنصوص الشرعية الظنية، مع التحمل والتكلف، فقد تختلف النظرية العلمية - في وقت من الأوقات - مع الآية القرآنية أو الحديث النبوي، ومردّ ذلك إلى أن العلم الذي يتطور من وقت لآخر لم يصل بعد إلى مستوى مفهوم الآية أو الحديث، والله سبحانه يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(٢٠)، فالذي لا يتفق من النظريات العلمية مع الوحي، فإنه سوف يظهر مستقبلاً بعد طول البحث والتنقيب، لأن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

كما إنه من الخطأ أن ننكر نظرية علمية ظنّية، لتعارضها مع الظني الشرعي، فإنه قد يثبت صدق هذه النظرية التي أنكرناها، وعندئذ يكون تراجعنا مخجلاً، فيكفينا أن نظل مع الظني الشرعي، وننسب نظريات العلوم إلى أربابها، ما دمنا لسنا من أهليها.

---

(٢٠) سورة فصلت، الآية ٥٣

المبحث الثالث
المراد بالإعجاز العلمي للقرآن والسنة

الإعجاز العلمي للقرآن والسنّة يتمثل في إخبارهما عن حقائق علمية لم تكن معروفة للبشرية يوم أن تنزّل القرآن على نبيه عليه الصلاة والسلام، ولم يمط العلم اللثام عن بعض هذه الحقائق إلا في الوقت الحاضر، مما يعد دليلاً واضحاً على أن القرآن معجز حقاً، وأنه ليس من كلام البشر، فكان ذلك شاهداً بأن القرآن أنزله له الله الذي يعلم السرّ في السماوات والأرض.

كما يشهد بأن محمداً - عليه الصلاة والسلام - رسول من عندالله، وأن ما نطق به من حقائق علمية - على الرغم من أميّته - دليل واضح على نبوّته.

«وقد تعرض القرآن في كثير من آياته - نحو ٧٥٠ آية - إلى مسائل هي من صميم العلم، وذكر جانباً من الحقائق العلمية كقضايا عامة، ودخل في تفاصيل بعض الحقائق الأخرى. وتلك الآيات هي في مجموعها إحدى نواحي إعجاز القرآن التي تكشفت في هذا العصر، الذي يؤمن فيه الأفراد والجماعات بالعلم، وتقاس فيه الشعوب بما أحرزت من ثقافات، وما جمعت من معرفة، وما ابتكرت من مخترعات. وتلك إحدى صفات القرآن الرائعة، ذلك الكتاب الذي لا يقف إعجازه عند عصر معين»(٢١)، ولا بجانب واحد من جوانب الإعجاز.

ومن المعلوم أن القرآن ليس كتاب طب أو هندسة أو زراعة أو نحو ذلك من العلوم التجريبية، إلا أنه قد حوى قبساً من هذه العلوم، للتدليل على مصدره الإلهي، وهذا القدر الذي حواه كاف في تحقيق ذلك.

«والقرآن أشار بآياته إلى سنن الخلق وحقائق التكوين التي لها صلة بالعلوم السابقة، وبما أن القرآن صادر من واضع السنن كلها، كان جميع ما جاء فيه

---

(٢١) محمد الفندي، من روائع الإعجاز في القرآن الكريم ص ١٠٥، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٨.

حقاً لا شك فيه، وإن لم يكن ذلك مدركاً وقت نزوله إلا عن طريق الإجمال والتأويل، لضعف العلوم الإنسانية آن ذاك.

والله الذي خلق الإنسان وعلّمه، وأنزل القرإن وبيّنه، أخبر في كتابه ووعد أنه سيكشف للناس - وللعلماء خاصة - حقيقة ما في هذا القرآن من آيات بيّنة، لتكون دليلاً لهم على صدق رسالة محمد ﷺ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾(٢٢).

معنى آيات الله في الآفاق والأنفس:

ذكر أئمة اللغة أن الآفاق: جمع أفق، وهي ما ظهر من نواحي الفَلَك وأطراف الأرض، ومن السماء: نواحيها(٢٣).

وآيات الله في الآفاق والأنفس تحمل دلالتين اثنتين:

الأولى: ما خلق الله في الأرض والسماء وفي الأنفس، من مخلوقات كثيرة، تدّل على بديع صنع الله تعالى، قال القرطبي: «وقال عطاء وابن زيد: (في الآفاق) يعني أقطار السماوات والأرض، من الشمس والقمر والنجوم، والليل والنهار، والرياح والأمطار، والبرق والصواعق، والنبات والأشجار، والجبال والبحار، وغيرها. . . . (وفي أنفسهم): من لطيف الصنعة، وبديع الحكمة، حتى سبيل الغائط والبول. . . وبديع صنعة الله وحكمته في: عينيه، ينظر بهما من الأرض إلى السماء، وفي أذنيه، يفرق بهما بين الأصوات المختلفة»(٢٤).

وقد جاء القرآن الكريم بذكر العديد من إيات الله في الآفاق والأنفس، مع

---

(٢٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣

(٢٣) انظر: الراغب الأصفهاني: المفردات. وابن منظور: لسان العرب، والفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة: أفق.

(٢٤) القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٥ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ بتصرف.

بيان لأوصاف هذه الآيات وأحوالها، كنحو قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ (٣٨) وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ (٣٩) لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ (٤٠)﴾(٢٥).

الثانية: ما يظهره الله من البيّنات والمعجزات، في آفاق السماوات والأرض وفي الأنفس، تصديقاً لرسوله محمد - ﷺ -، برؤية مصداقها من حقائق الخلق التي لم تكن معروفة للبشرية وقت نزول القرآن، والتي كشف عنها العلم حيناً بعد حين.

فما أظهره الله من آياته في الآفاق والأنفس - مما كشف العلم عن بعض منه - دليل واضح، وحجة باهرة على أن هذا القرآن هو من عندالله سبحانه، وأن محمداً ﷺ هو رسول الله حقاً.

والقرآن الكريم أشار إلى أن الله سيُرى عباده من الايات الدالة على وحدانيته، وأنه هو منزّل القرآن، قال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾(٢٦) وهذه الآيات هي مما أخبر الله عنه في قوله: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ (٥٣)﴾(٢٧)،

وهذه الآيات - التي سيُريها الله لعباده - تتكشّف لهم حيناً بعد حين، قال تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ (٨٧) وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ (٨٨)﴾(٢٨). و(الحين) هو الزمان الذي يأتي في المستقبل، دون تحديد له، قال الطبري: «إن الله أعْلَمَ المشركين بهذا القرآن: أنهم يعلمون نبأه بعد حين، من غير حدٍ منه لذلك الحين

---

(٢٥) سورة يس، الآيات: ٣٨ - ٤٠

(٢٦) سورة النمل، الآية: ٩٣

(٢٧) سورة فصلت، الآية: ٥٣

(٢٨) سورة ص، الآيتان: ٨٧,٨٨

بحد، ولا حدّ عند العرب للحين»(٢٩). وذكر ابن كثير أن لكل خبر وقوع، ولو بعد حين(٣٠).

ومن تأمل القرآن وجد أن ما وعد الله بكشفه لعباده قد بدأ يظهر أولاً بأول، وحيناً بعد حين، بعد تقدُّم العلوم ووسائل البحث والنظر، فلا يمرُّ عصر من الأعصار، إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به القرآن أنه سيكون(٣١)، وذلك في دلالة واضحة على صدق محمد ﷺ.

ومن هنا كان الشاهد على ذلك من القرآن نفسه، كما قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾(٣٢)، وفي هذه الآية - التي نزلت رداً على تكذيب الكافرين بنبوّة محمد - ﷺ -: بيان لطبيعة المعجزة العلمية، التي تبقى بين يدي الناس، وتتجدّد مع كل فتح بشري في آفاق العلوم والمعارف، ذات الصلة بمعاني الوحي الإلهي»(٣٣).

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾: «أي فيه علمه الذي أراد أن يطّلع العباد عليه، من البيّنات والهدى والفرقان، وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل»(٣٤).

ويمكن التنبيه - هنا - إلى أن الآيات التي سيريها الله لعباده لا تقتصر على فترة زمنية واحدة، ولا على جيل واحد من الأجيال، بل إنها تستوعب جميع الأزمان، وجميع الأجيال، في دلالة واضحة على أن القرآن حق من عندالله

ومن هنا فإن هناك سراً في صيغة الاستقبال الذي جاء في قوله تعالى:

---

(٢٩) الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان عن معاني آي القرآن، / ٢٣ ص ١٢١

(٣٠) ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ج ٢ ص ١٤٤

(٣١) ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٩ ص ٧، المكتبة الفلسفية.

(٣٢) سورة النساء الآية: ١٦٦

(٣٣) رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة: مجلة «الإعجاز» العدد الأول ص ١٠، عام ١٤١٦هـ.

(٣٤) تفسير القرآن العظيم، ج ١ ص ٥٦٠

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ وفي قول تعالى: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾، يتمثل في جملة من الأمور:

١ - الإشارة إلى تعاقب الأجيال، فكل جيل يريه الله شيئاً من آياته، بحسب ما توفّر له من وسائل البحث والنظر.

٢ - إن الله يري كل إنسان آياته، آية بعد آية، كلما أراه آية كان على موعد مع آية أخرى بعدها، وهكذا لا تنقطع رؤية الإنسان لآيات الله، حتى يفارق الدنيا.

٣ - إن الله يري الناس آيات جديدة في آيات معروفة، فكل آية معروفة تنطوي على آيات أخرى مجهولة، تنكشف للناس شيئاً فشيئاً، فالأرض - مثلاً - آية معروفة للناس، قديماً وحديثاً، ولكن الآيات المتجددة فيها تنكشف للناس شيئاً فشيئاً، في العصور المتعاقبة، وكذا الأمر في بقية آيات الله الأخرى، مثل: الشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والدواب، وغيرها.

٤ - إن الله سبحانه لا يرى الناس آيات مرة واحدة، ثم يحجبها عنهم، بل جعلها آيات ملازمة لهم، لا تفارقهم، يرونها باستمرار، وهذا من أسرار الإعجاز القرآني، يتمثل في قيام الحجة على الناس في كل زمان، انطلاقاً من عالمية الإسلام.

والآيات التي أشار إليها الله - عزّ وجلّ - في كتابه، أو وردت على لسان نبيه - عليه الصلاة والسلام - يتفاوت الناس - في كل زمان - في مقدار ما يراه كل حد منها، ويتفاوتون - أيضاً - في درجة اعتباز كل واحد منهم بها، ويتفاوتون كم يحتاج كل واحد من آية، ومن مدّة في رؤيتها، لتحقيق المقصد الإلهي تبيان أن القرآن حق من عند الله(٣٥).

انظر: توفيق محمد عز الدين، دليل الأنفس في القرآن الكريم والعلم الحديث، ص ٥٦ - ٥٧ القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط ١. ١٤٠٧ - ١٩٨٦

وهكذا فإن الأسبقية الزمنية التي تعتبر الأساس في كل معجزة، هي التي جعلت القرآن معجزة في الماضي والحاضر، وهي التي ستجعله معجزة - في المستقبل، باعتبار الاستمرارية الزمنية التي أرادها الله لخاتمة رسالاته(٣٦).

«وقد تحقق الوعد الإلهي في عصر التقدم العلمي، وكان مما تحقق: أنه كلما تقدمت الكشوف العلمية في ميدان من الميادين، تكشف للناس عن آيات الخلق الباهرة، التي تزدهم إيماناً بخالقهم»(٣٧).

«وكلما تقدّم النظر، وجمعت العلوم، ونازعت إلى الكشف والاختراع، واستكملت آلات البحث، ظهرت حقائق القرآن الطبيعية ناصعة، حتى كأنه غاية، لا يزال عقل الإنسان يقطع إليها، حتى كأن تلك الآلات حينما توجّه لآيات السماء والأرض، توجّه لآيات القرآن أيضاً»(٣٨).

وذكر العديد من العلماء اشتمال القرآن على كثير من الحقائق العلمية التي كشفت العلم اللثام عنها في الوقت الحاضر، ولم تكن معروفة وقت نزول القرآن، فمن هؤلاء:

١ - محمد رشيد رضا إذا يقول: «اشتمل القرآن على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله، ثم عُرِفت بعد ذلك، بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون، وتاريخ البشر، وسنن الله في الخلق»(٣٩).

٢ - جمال الدين القاسمي: فقد فسّر العديد من الآيات وفق ما توصّل إليه

---

(٣٦) د. هند شلبي: التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، ص ١٦٠ - ١٦١. تونس، ط ١. ١٤٠٦ - ١٩٨٥.

(٣٧) عبدالمجيد الزنداني: كتاب توحيد الخالق، ج ٣ ص ٤٤ - ٤٥ بتصرف واختصار. الكويت، دار المجتمع للنشر والتوزيع.

(٣٨) الرافعي: مصطفى صادق: إعجاز القرآن ص ١٢٩. القاهرة، المكتبة التجارية، ط ٨. ١٣٨٤ - ١٩٦٥.

(٣٩) تفسير المنار: ج١ ص ٢١٠.

العلم الحديث ثم قال: «فالناس قديماً فهموا أمثال هذه الآيات بما يوافق علومهم، حتى إذا كشف العلم الصحيح عن حقائق الأشياء، علمنا أنهم كانوا واهمين، وفهمنا معناه الصحيح، فكأن هذه الآيات جعلت في القرآن معجزات للمتأخرين، تظهر لهم كلما تقدمت علومهم»(٤٠).

٣ - مصطفى صادق الرافعي: فقد تحدث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ثم قال: «ولعل متحققاً بهذه العلوم الحديثة لو تدبر القرآن وأحكم النظر فيه، وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم، ولا يلتوي عليه أمر من أمره، لاستخرج إشارات كثيرة توميء إلى حقائق العلوم، وإن لم تبسط من أنبائها فتدل عليها، وإن لم تسمها بأسمائها»(٤١).

٤ - محمد عبدالله دراز: فقد بيّن اتفاق الجوانب العلمية التي أشار إليها القرآن مع الحقائق التي كشف عنها العلم حديثاً، وأثر ذلك في تدعيم قضية الإيمان وتعميقه في النفوس، وفي ذلك يقول: «والقرآن في دعوته إلى الإيمان والفضيلة لا يسوق الدروس من التعاليم الدينية والأحداث الجارية وحدها، وإنما يستخدم في هذا الشأن الحقائق الكونية الدائمة، ويدعو عقولنا إلى تأمل قوانينها الثابتة، لا بغرض دراستها وفهمها في ذاتها فحسب، وإنما لأنها تذكر بالخالق الحكيم القدير، ونلاحظ أن هذه الحقائق التي يقدمها تتفق تماماً مع آخر ما توصّل إليه العلم الحديث»(٤٢).

نماذج لما تحقق من المعجزات العلمية التي وردت في القرآن والسنة:

ليس الهدف هنا استقصاء جميع ما ورد في القرآن والسنة من معجزات تحققت في عصر الكشف العلمي، وإنما سأورد شواهد على ذلك ومنها:

---

(٤٠) القاسمي: جمال الدين/ محاسن التأويل، ج ١ ص ٣٣٧.

(٤١) إعجاز القرآن ص ١٤٢.

(٤٢) د. محمد فراز: مدخل إلى القرآن الكريم ص ١٧٥ - ١٧٦. الكويت، دار القلم، ط ١. ١٤٠٤ - ١٩٨٣.

أولاً: من القرآن:

١ - قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾(٤٣).

وقد جاء في تفسير التكوير: بأنه إدارة الشيء، وضم بعضه إلى بعض، ككور العمامة، وكُوِّرت الشمس: جُمع ضوؤها ولُف كما تُلفُّ العمامة(٤٤).

وهذا المعنى هو الذي رجّحه الإمام الطبري، إذ يقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾(٤٥): «والصواب من القول عندنا في ذلك: أن التكوير: جمع الشيء بعضه إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفُّها على الرأس، وكجمع الثياب بعضها إلى بعض، فمعنى قوله تعالى: (كوِّرت): جمع بعضها إلى بعض، ثم لفّت فرمي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوؤها»(٤٦).

وهذا المعنى إشارة إلى كروية الأرض التي أثبتها العلم في الوقت الحاضر، ولم يكن ذلك معلوماً وقت نزول القرآن، يقول الأستاذ سيد قطب في تفسيره لقوله تعالى: **﴿يُكور الليل على النهار ويُكورِ النهار على الليل﴾**: وهو تعبير عجيب، يقسر النظار فيه قسراً على الالتفات إلى ما كشف حديثاً عن كروية الأرض، ومع أنني - في هذا الظلال - حريص على الا أحمّل القرآن على النظريات التي يكتشفها الإنسان، لأنها نظريات تخطيء وتصيب، وتثبت اليوم وتبطل غداً، والقرآن حق ثابت، يحمل آية صدقه في ذاته، ولا يستمدّها من موافقة ومخالفة لما يكشفه البشر الضعاف المهازيل.

مع هذا الحرص، فإن هذا التعبير يقسرني قسراً على النظر في موضوع كروية الأرض، فهو يصور حقيقة مادية ملحوظة على وجه الأرض، فالأرض الكروية

---

(٤٣) سورة الزمر، الآية: ٥.

(٤٤) انظر: المفردات ص ٤٤٣، والرازي: محمد أبي بكر، مختار الصحاح، مادة: كور.

(٤٥) سورة التكوير، الآية: ١.

(٤٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٥ ص ٦٤ - ٦٥ بتصرف.

تدور حولها نفسها في مواجهة الشمس، فالجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكوَّر يغمره الضوء ويكون نهاراً، ولكن هذا الجزء لا يثبت، لأن الأرض تدور، وكلما تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذي كان عليه النهار، وهذا السطح مكوَّر، فالنهار كان عليه مكورًا، والليل يتبعه مكوَّراً كذلك، وبعد فترة يبدأ النهار من الناحية الأخرى يتكوَّر على الليل، وهكذا في حركة دائبة، واللفظ يرسم الشكل، ويحدد الوضع، ويعيّن نوع طبيعة الأرض وحركتها.

وكروية الأرض ودورانها، يفسران هذا التعبير تفسيراً أدق من أي تفسير آخر لا يصطحب هذه النظرية»(٤٧).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾(٤٨)، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾(٤٩)، وقوله ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾(٥٠)، وقوله: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾(٥١).

هذه الآيات تبيّن لنا دور الجبال بالنسبة للأرض، فقد جعلها الله مثبتات لها حتى لا تضطرب، فهي كالأوتاد التي تمسك الخيمة من الاضطراب والسقوط.

ولاحظ العلماء أن امتداد الجبال في باطن الأرض يزيد عن ارتفاعها فوق سطحها، مما يمكّن هذه الجبال من القيام بدورها في تثبيت الأرض، كما تقوم الأوتاد في تثبيت الخيمة(٥٢).

ويقرر العلم هذه الحقيقة، «ويذكر أن توزيع الجبال على الكرة الأرضية إنما قصد به حفظها من أن تميد إلى الشمس، أو تحيد عنها، وأنها - فعلاً - السبب

---

(٤٧) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٥ ص ٣٨. بيروت، دار الشرق، ط ١٠، ١٤٠٣ - ١٩٨٢.

(٤٨) سورة لقمان، الآية: ١٠.

(٤٩) سورة المرسلات، الآية: ٢٧.

(٥٠) سورة النازعات، الآية: ٣٢.

(٥١) سورة النمل، الآية: ٦١.

(٥٢) انظر: مجلة الإعجاز ص ٤٧ العدد الأول مقال للدكتور: حسن باحفظ الله، بعنوان: «والجبال أوتاداً».

الأول والرئيسي لحفظ توازن الأرض، فكأن الجبال هي أوتاد للأرض تحفظها في مكانها، وتحفظ عليها حركتها(٥٣).

ولو رجعنا إلى ما قاله المفسرون لوجدنا اتفاقاً مع ما قاله العلم حديثاً، قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾(٥٤): **«الأوتاد: جمع وتد، أي جعلنا الجبال أوتاداً للأرض، لتسكن، ولا تتحرك، كما يُرسّى البيت بالأوتاد»**(٥٥).

وقال القرطبي: «أي: لتسكن، ولا تتكفيء، ولا تميل بأهلها»(٥٦). وقال أبو حيان: «أي: ثبتنا الأرض بالجبال، كما ثبت البيت بالأوتاد»(٥٧).

٣ - قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾(٥٨)، وقوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾(٥٩)، ثم جاءت آية سورة الأحقاف تجمع الحمل والرضاع بثلاثين شهراً: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾(٦٠).

فإذا حذفنا مدّة الإرضاع الكاملة وهي حولان، أي(٦١) (٢٤) شهراً من ثلاثين

---

(٥٣) عبدالرزاق نوفل: الآيات العلمية ص ٥٦ - ٥٧. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

(٥٤) سورة النبأ الآية: ٧.

(٥٥) الشوكاني: محمد بن علي، فتح القدير ج ٥ ص ٣٦٤.

(٥٦) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩ ص ١٧١.

(٥٧) أبو حيان: البحر المحيط ج ٨ ص ٤١١.

(٥٨) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

(٥٩) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٦٠) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٦١) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٦٩، دار المعرفة، بيروت. انظر القصة في موطأ مالك، كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم رقم ١١. وذكرها ابن عبدالبر بروايات مختلفة، وقال: «يختلف أهل المدينة في رواية هذه القصة: فمنهم: من يرويها لعثمان مع علي، كما رواها مالك وابن أبي ذئب، ومنهم: من يرويها عن عثمان عن ابن عباس، وأما أهل البصرة فيرونها لعمر بن الخطاب مع علي بن أبي طالب. فأما رواية أهل المدينة فذكرها معمر عن الزهري عن أبي عبيد مولى عبدالرحمن بن عوف... وهذا الإسناد لا مدفع فيه من رواية أهل المدينة، وقد =

شهراً، التي هي مدّة الحمل والإرضاع معاً، فإنه يبقى ستة أشهر للحمل، وهي أقل مدة للحمل: يمكن للجنين أن يبقى حياً إذا وُلد بتمامها.

وقد اعتمدت الصحابة رضي الله عنهم على هذا الفهم، يقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾: «وقد استدل بهذه الآية مع التي في لقمان: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ على أن أقل مدّة الحمل ستة أشهر، وهو استنباط قوي صحيح، ثم أورد ابن كثير وغيره قصة المرأة التي ولدت لستة أشهر، فعن مالك بن أنس أنه بلغة أن عثمان بن عفان أتي بامرأة قد ولدت في ستة أشهر، فأمر بها أن ترجم، فقال له علي بن أبي طالب: ليس ذلك عليها، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً)، وقال: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) فالحمل يكون ستة أشهر، فلا رجم عليها، فبعث عثمان بن عفان في أثرها، فوجدها قد رجمت».

ويأتي العلم ليقرر: أن أقل مدّة الحمل - يمكن أن يبقى بعدها الجنين حياً إذا ولد بتمامها - هي ستة أشهر، إذ أن الولادة قبلها تسمى (إسقاطاً)، والجنين - في هذه المرحلة - غير قابل للبقاء حياً، وأما الولادة بعدها - وقبل تمام الحمل لتسعة أشهر - فإنها تسمى (خداجاً) أو ولادة مبكرة، والخداج قابل للبقاء حياً، لكن الطب يوصي بعناية خاصة به، وهذه المدّة هي المعتبرة قانونياً في محاكم معظم الدول العالمية(٦٢).

= خالفهم في ذلك ثقاة أهل مكة، فجعلوا القصة لابن عباس مع عمر. وروي من حديث الكوفيين نحو ما رواه المدنيون في عثمان... وقد صحح عكرمة القصتين لعمر وعثمان أيضا، ذكره عبدالرزاق عن الثوري عن عاصم عن عكرمة، وذكره غير واحد عن الزهري بإسناده عن عكرمة، أن عمر أتى أن بمثل التي أتى بها عثمان، فقال فيها على نحو مما قال ابن عباس». الاستذكار لأبي عمر يوسف ابن عبد البر، ج ٢٤ ص ٧٣ - ٧٥د تحقيق الدكتور: عبدالمعطي قلعجي، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م القاهرة. وذكرها أيضاً عبدالرزاق في المصنف، ج ٧ ص ٣٤٩ - ٣٥٤. والبيهقي في السنن الكبرى، ج ٧ ص ٤٤٢، ط دار المعرفة، بيروت.

(٦٢) انظر: د. عبدالحميد دياب ود. أحمد قرقور: مع الطب في القرآن الكريم ص ٢٥، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، ط ٢. ١٤٠٢ - ١٩٨٢. ود. محمد علي البار: خلق الإنسان بين الطب والقرآن ص ٢٢٩، جدة - الرياض، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ١. ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

٤ - قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾(٦٣).

وفي الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالشفاءين: العسل، والقرآن»(٦٤).

وورد أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: «أخي يشتكي بطنه، فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتى الثانية، فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتاه الثالثة فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتاه فقال: فعلت، فقال: «صدق الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً» فسقاه فبرأ(٦٥).

ويأتي العلم اليوم ليكشف عن الخواص الشفائية للعسل، وخرج الأطباء بنتيجة: أن العسل فيه شفاء لكثير من الأمراض: كآلام العيون، والجروح والحروق، وقرحة المعدة، ويقوم بدور في الوقاية من نخر الأسنان، والتهابات الجهاز التنفسي، وغيرها من الأمراض.

ويتفق الأطباء على أن العسل أفضل علاج للمصابين بقرح المعدة والإثني عشر، على أن يؤخذ قبل وجبات الطعام بساعة أو أكثر، وأفضل الأوقات هو قبل الإفطار، ومذاباً في كوب ماء دافىء، إلى غير ذلك من الخواص مما هو مجرّب في مختلف العصور(٦٦).

---

(٦٣) سورة النحل، الآيتان: ٦٨، ٦٩.

(٦٤) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الطب، باب العسل ج ٢ ص ١٤٢، قال شهاب الدين البوصيري في مصباح الزجاج في زوائد ابن ماجه ج٢ ص ٢٠٩، ط دار الجنان بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات»، والحاكم في المستدرك ج ٤ ص ٢٠٠ و٤٠٣، وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي.

(٦٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب السلام، باب: لكل داء دواء، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٤ ص ٢٠٣.

(٦٦) انظر في فوائد العسل، الأدوية والقرآن الكريم، د. محمد هاشم ص ٨٦ وما بعدها، وكتاب: مع الطب في القرآن الكريم د. عبدالحميد دياب ص ١٨٢ - ١٩٩. وكتاب: عسل النحل شفاء نزل به الوحي، د. عبدالكريم الخطيب.

وينبغي أن يعلم أن الخاصية الشفائية للعسل تختلف حسب لونه، لذلك جاء التعبير القرآني: **﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه﴾** فهناك علاقة بين اختلاف اللون والقدرة على الشفاء.

ثانياً: من السنة:

١ - التداوي بالمحرمات: عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حُرم عليكم»(٦٧).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تتداووا بحرام»(٦٨).

ويظن بعض الناي أن المحرمات - كالخمر مثلا - تصلح لعلاج بعض الأمراض، كآلام الكلى، والحصى ونحوها. وهذا خطأ، فإن أهل الاختصاص يؤكدون عدم صحة ذلك، بل العاقل يرى أن الخمر تجرّ على صاحبها كثيرا من الأمراض والويلات، فمن أضرار الخمرة والمخدرات: التسمم الغولي الحاد والمزمن، والتوتر العصبي، التهاب المريء وسرطانه، سرطان المعدة، أمراض الكبد، كتشحمه وتشمعه، اعتلال العضلة القلبية، فقر الدم، إلى غير ذلك من أضرارها(٦٩).

يضاف إلى ذلك المفاسد الاجتماعية للخمر والمخدرات، فهي تفسد الجماعة، وتؤدي إلى الجرائم الخطيرة، كحوادث السير، وجرائم القتل، والسرقة، والاغتصاب ونحوها.

لهذا! فإن اعتبار الخمرة والمخدرات ونحوهما - مما حرم الله - وسيلة من وسائل العلاج غير صحيح من الناحية الطبية، يقول الدكتور نجيب الكيلاني: «المعالجة بالمحرّمات قبيحة عقلاً وشرعاً، أما الشرع فقد حرّمها لخبثها، فإنه

---

(٦٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب رقم ١٥.

(٦٨) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب: في الأدوية المكروهةو رقم ٣٨٧٤.

(٦٩) انظر: الطب في القرآن الكريم ص ١٤١ - ١٤٩.

لم يحرم على هذه الأمة طيبا عقوبة لها، كما فعل مع بني إسرائيل، وإنما حرّم على هذه الأمة ما حرم لخبثه، فلا يتناسب أن يطلب له الشفاء من الأسقام والعلل»(٧٠).

بل إن الرسول ﷺ يتطع الأوهام العالقة في أذهان بعض الناس من أن الخمرة دواء لعلاج بعض الأمراض، وذلك عندما سأله طارق بن سويد عن الخمر؟ فنهاه، أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: «إنه ليس بدواء، ولكنه داء»(٧١).

قال النووي: «وفيه التصريح بأنها ليست بدواء، فيحرمُ التداوي بها، لأنها ليست بدواء، فكأنه يتناولها بلا سبب، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا أنه يحرم التداوي بها»(٧٢).

٢ - الزنا وتفشي الأمراض:

يقول الرسول ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»(٧٣).

ويذكر الأطباء أن القرائن التي جمعت من عدة دراسات، تدل على أن الأمراض الجنسية تنتج في معظمها عن الأمراض الجنسية خارج نطاق الزواج، أي عن طريق الزنا(٧٤). ويبدو أن الطب عاجز عن زراعة ودراسة جراثيم الأمراض الجنسية. كما هو الحال في البكتيريا والجراثيم التي تسبب

---

(٧٠) نجيب الكيلاني: في رحاب الطب النبوي ص ٦٠، بيروت، مؤسسة الرسالة.

(٧١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب: تحريم التداوي بالخمرة، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص ١٥٢، وأبو داود في سننه، كتاب الطب، باب: في الأدوية المكروهة، حديث رقم ٣٨٧٣.

(٧٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص ١٥٣.

(٧٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم: ٤٠١٩، ط دار الحديث، القاهرة.

(٧٤) مع الطب في القرآن الكريم ص ١٦٧،

الأمراض غير الجنسية، وعلى سبيل المثال فإن «الجراثيم الجنسية - كفيروس الثآليل الجنسية - قد استعصت على الزراعة والدراسة، وبالتالي لا يعرف عنها إلا النزر اليسير. فهذه جرثومة الزهري - مثلاً - تتحدى علماء الجراثيم في كل مكان، أن يتمكن أحدهم من زراعتها كغيرها من البكتيريا، ليدرسها دراسة وافية، ويتمكن من معاملتها علاجياً بطريقة أفضل مما هي عليه الآن.

هذا الغموض الذي يلفُّ هذه الأنواع من الجراثيم دون غيرها. يجعل منها معضلة إنسانية معقدة، تتضاعف بانتشار الزنا واللواط والتحلل الخلقي والإباحية والفوضى الجنسية، التي يعيشها الإنسان في هذا القرن، حتى قضت وتقضي على عشرات، بل مئات الملايين من البشر على مرّ العصور.

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام: لماذا هذا النوع من الجراثيم دون غيره؟ إنها عقوبة إلهية»(٧٥)، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾(٧٦).

وينقل الأستاذ عبدالمجيد الزنداني(٧٧) عن أحد كبار الاختصاصيين، ورئيس معهد متخصص في الأمراض الجنسية، أنه سئل عن حديث الرسول ﷺ «وما ظهرت الفاحشة»... الحديث، وما يفهمه منه؟ فقال: أنا أرى عجباً، قلت: وما هو؟ قال: بين قوله (أي رسول الله): «وما ظهرت الفاحشة» وبين ظهور الأمراض الجديدة، يعني: الربط بين ظهور الفاحشة، لا وجود الفاحشة، قال: هي لا تظهر الا إذا كثرت، وإذا كثرت: معناه حدث الاختلال، وتهيّأت الفرصة لنمو الجراثيم التي ظهرت الآن وعرفناها، فإنها لم تظهر إلا بعد أن ظهرت الفاحشة وتفشّت، وكثُرت، وأعلنت، فهناك علاقة بين الظهور

---

(٧٥) د. عبدالحميد القضاة: الأمراض الجنسية عقوبة إلهية ص ١١٥ - ١١٦. الرياض، دار عالم الكتب ط ٢. ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

(٧٦) سورة الإسراء، الآية ٣٢.

(٧٧) الأمين السابق لهيئة الإعجاز العلمي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

الذي يدل على كثرتها وشيوعها، وبين ظهور الأمراض الجديدة التي لم تكن في الأسلاف»(٧٨).

إن العالم اليوم يعيش في رعب من طاعون القرن العشرين، وبدأ هذا الطاعون يهدّد الحياة البشرية بالدمار، فإن الذي يناقض الفطرة الربانية، ويسلك الطرق المحرّمة في إشباع غريزته. فإن الله يعاقبه بعقوبات فطرية في الدنيا قبل الآخرة.

وهكذا تتحقق نبوّة المصطفى - عليه الصلاة والسلام - التي أعلنها قبل أربعة عشر قرناً، وصدق الله العظيم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾(٧٩).

وبعد: فهذه نماذج من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، اخترناها من بين كثير من نواحي الإعجاز فيهما، وهي شاهدة - وغيرها من نواحي الإعجاز - على أن القرآن كلام الله حقاً، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى.

وسيبقى القرآن والسنة معجزين في حق الأجيال القادمة أيضاً، فإن عجائب الوحي لا تنقضي على مر العصور، بل هو قائم وممتد إلى قيام الساعة.

«وكل ما لدينا من علم يؤكد لنا: أن ما قد كشف أقل بكثير مما لم نستطع الآن الكشف عنه، رغم أن ما كشفه الإنسان كثير جدا، حتى إننا لو أردنا فهرسة عناوين هذه العلوم، فسنحتاج إلى سفر ضخم جداً.

ولو قُدِرَ أن تنكشف للإنسان جميع العلوم الكونية ثم يجلس سكان المعمورة، وقد هُيئت لكل فرد منهم جميع الوسائل في أكمل صورها، فإن هؤلاء جميعاً لن يستطيعوا تدوينها أبداً»(٨٠).

ولسوف تشهد القرون المقبلة من إعجاز القرآن والسنة آفاقاً جديدة، لأن

---

(٧٨) من محاضرة له بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في شهر ربيع الأول لعام ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

(٧٩) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

(٨٠) وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى ص ١٠٥، مراجعة وتحقيق د. عبدالصبور شاهين، دار البحوث العلمية، ط. ١٣٩٠ - ١٩٧٠.

الشواهد قد دلّت على أنه كلما تقدم العلم وتعمّق الإنسان في بحوره. يجد مع كل ظاهرة علمية كانت في طي الخفاء أن لها أصولاً في القرآن والسنة سابقة لها، وسيبقى هذه السبق سمة ملازمة للقرآن والسنة، ومستوعباً لكل ما سوف تأتي به العلوم على مدى الأزمان.

المبحث الرابع

أهمية الإعجاز العلمي في الوقت الحاضر

تبرز أهمية الإعجاز العلمي في الوقت الحاضر في جملة من الأمور أهمها:

١ - أنها طريق إلى الإيمان بوحدانية الله: يحتاج كثير من الناس في وقتنا الحاضر إلى الإقناع العلمي ليتمّ إسلامهم وتطمئن قلوبهم، إذ تقدمت العلوم تقدماً أذهل الكثيرين، وزلزل عقائد ضعاف الإيمان، وظن هؤلاء أن العقل أصبح قادراً على كل شيء وكان جديراً بهؤلاء أن يزداد يقينهم بالله عن طريق هذه الاكتشافات، فما العلم إلا وسيلة من الوسائل المهمة التي تعمّق الإيمان بالله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(٨١).

«إن الإنسان المعاصر اليوم بأمس الحاجة إلى يقين ديني يعيد إليه وحدته الضائعة، وسعادته المفقودة، وأمنه المسلوب. وما دامت القناعة المبنية على الحقائق العلمية هي اليوم من أكثر القناعات فاعلية للتحقق من هذا اليقين، وما دام القرآن يمنحنا هذا القدر الكبير المعجز من هذه الحقائق، التي راحت تتكشف عقداً بعد عقد، وقرناً بعد قرن، فلماذا لا نتحرك على ضوء هذه المعادلة العظيمة، لإنقاذ الإنسان المعاصر من ورطته بفقدان اليقين؟»(٨٢).

---

(٨١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٨٢) د. عماد الدين خليل: مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم ص ١١، بيروت، مؤسسة الرسالة ط ١. ١٤٠٣ - ١٩٨٣.

إن الإيمان اليوم لا يقوم على مجرد التسليم أو التخمين أو التقليد، وإنما يقوم على الاقتناع المبني على العلم، فالعلم هو اللغة التي يفهمها أبناء اليوم، وبما أن المسلمين أصحاب رسالة، فما عليهم إلا أن يخاطبوا الناس باللغة التي يفهمون.

وإذا كانت أوروبا قد تقدمت في مضمار العلوم التجريبية تقدماً يصعب اللحاق به، فضلاً عن التقدم عليه، فليس يفوتنا أن نقدم لهم شواهد علمية وردت في القرآن والسنة، هذه الشواهد قد كشف عن بعضها علماء أوروبا أنفسهم، فذُهلوا عندما علموا أن الإسلام قد تحدث عنها قبل أربعة عشر قرناً. وبقيت في القرآن والسنة شواهد أخرى، ما زال العلم عاجزاً عن اكتشاف أسرارها، وسيأتي اليوم الذي يميط اللثام عنها، وعندها يقف الناس على إعجاز لا طاقة لهم به: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾(٨٣).

«إن في ذكر الآيات الكونية والعلمية في القرآن دليلاً على إعجاز القرآن، وإن في ذلك إيماء إلى أن الزمن متجه في سيره إلى الجهة العلمية، القائمة على البحث والدليل، وأن الإنسانية ذاهبة في أرقى عصورها إلى هذا المذهب»(٨٤).

ولقد دلت الدلائل على أن العلماء الذين درسوا الآيات الكونية في القرآن والسنة - وطبقوها على ما وصل إليه العلم في زمانهم في الفلك أو الطب أو الكيمياء أو الأحياء، وغير ذلك من العلوم - قد وجدوا تطابقاً وتوافقاً علمياً رائعا، أكد لهم أن القرآن - كتاب الله - هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فهذا «موريس بوكلي» الطبيب الفرنسي، يدرس القرآن عشرة أعوام، ويضطر إلى تعلم اللغة العربية، ليقف بنفسه على ما يوحي به النصُّ القرآني، وخرج بنتيجة يقول فيها: «لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد - قط - بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع، ومطابقة تماماً

---

(٨٣) سورة ص، الآية: ٨٨.

(٨٤) إعجاز القرآن ص ١٤٦ بتصرف.

للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً. في البداية لم يكن لي أي إيمان بالإسلام، وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق، وبموضوعية تامة.

وعندما استطعت قياس المسافة التي تفصل واقع الإسلام عن الصورة التي اختلقناها عنه في بلادنا الغربية، شعرت بالحاجة الملحّة لتعلم اللغة العربية، التي لم أكن أعرفها، وذلك حتى أكون قادراً على التقدم في دراسة هذا الدين الذي يجهله الكثيرون».

ويخلص موريس بوكاي إلى القول: «وتأولت القرآن منتبهاً بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية. لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات، وحتى تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلا في النص الأصلي. أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات، والتي لم يكن ممكناً لأي إنسان في عصر محمد ﷺ أن يكوّن عنها أدنى فكرة.

إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه مثل هذا النصر - لأول مرة - هو: ثراء الموضوعات المعالجة. فهناك الخلق، وعلم الفلك، وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض، وعالم الحيوان، وعالم النبات، والتناسل الإنساني. وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة، لا نكشف في القرآن أي خطأ، وقد دفعني ذلك لأن أتساءل: لو كان كاتب القرآن إنساناً، كيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة؟!

ليس هناك أي مجال للشك، فنص القرآن الذي نملك اليوم هو - فعلاً - نفس النص الأول»(٨٥).

---

(٨٥) موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ١٤٤ - ١٤٥، القاهرة، دار المعارف ط ٤. ١٩٧٧.

وأوردت مجلة الإعجاز في عددها الأول لعام ١٤١٦هـ ص ٢٠ وما بعدها، ما أكده البروفيسور(ج.س. جور نجر) أستاذ علم الأجنة بجامعة جورج تاون بأمريكا، من أنه لم يكن قبل نزول القرآن الكريم أي تدوين صحيح لمراحل التخلق البشري، وأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد تضمنت وصفاً دقيقاً شاملاً للتخلق البشري، من وقت امتزاج الأمشاج وخلال تكون الأعضاء وما بعد ذلك، فقد سبق القرآن والسنة المؤلفات العلمية المعاصرة في هذا المجال بقرون عديدة.

وأما المارشال (جونسون) رئيس قسم التشريح بكلية جيفرسون الطبية - فيلادلفيا - بأمريكا فيؤكد أن القرآن هو أول مصدر يذكر أطوار الجنين، ويصف المظهر الخارجي والعمليات الداخلية، وهذا ينطبق انطباقاً تاماً مع قواعد تحديد المصطلحات في ضوء المعارف المعاصرة.

ونقل الأستاذ عبدالمجيد الزنداني في المؤتمر الدولي عن الإعجاز الطبي في القرآن والذي عقد بالقاهرة عام ١٩٨٥م، ما قاله مذيع إذاعة لندن، إذ قال بعد المؤتمر: «لأول مرة يتمكن علماء الإسلام من التحدث لعلماء الغرب بلغة يفهمونها» وشهد المسلمون إسلام علم من أعلام أوروبا هو «آرثر ألسون» من بريطانيا، إذ قال في نهاية المؤتمر: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم خاطب المؤتمرين قائلا: كيف يكون هذا العلم عندكم ولا تقدّموه لنا؟!

ثم قال: إن لي زملاء لو علموا ما علمت، لأسلموا كما أسلمت»(٨٦).

وذكرت مجلة الإعجاز في عددها الثاني لعام ١٤١٧هـ، ص ٧٠ - ٧١ قصة (تاجاتات تاجاسون) عميد كلية الطب بجامعة (شانج ماي - بتايلاند) وقد كان بوذياً فقد أسلم بعد انتهاء أعمال المؤتمر الطبي السعودي الثامن، والمنعقد بالرياض في الفترة ٢٤ - ٢٨ محرم من عام ١٤٠٤هـ، إذ وقف قائلاً: بعد

---

(٨٦) من محاضرة الزنداني المشار إليها في هامش (٧٨).

هذه الرحلة الممتعة والمثيرة، فإني أؤمن أن كل ما ذكر في القرآن الكريم يمكن التدليل على صحته بالوسائل العلمية، وحيث أن محمدا ﷺ كان أمياً، إذن لا بد أنه قد تلقى معلومات عن طريق وحي من خالق عليم بكل شيء، وإنني إعتقد أنه حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله».

ومن هنا فإننا ندعوا العلماء المسلمين الذين لهم دراية بالعلوم التجريبية إلى الاضطلاع بمسئولياتهم نحو كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام، تتمثل في الكشف عن مظاهر الإعجاز العلمي فيهما، خاصة وأن وسائل البحث والنظر قد تيسّرت طرقها في الوقت الحاضر.

وإذا كانت الكنيسة الأوروبية - في العصور الوسطى - تلاحق العلماء وتضيّق عليهم، فإننا نجد في الإسلام دعوة صريحة للكشف عن غوامض العلوم والسنن الكونية في هذا الكون الرحب من حولنا: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾(٨٧).

وعندما يضطلع علماء الإسلام بهذه المهمة يكونون قد ردّوا لإنسان القرن العشرين يقينه وإيمانه، بعد شك وتردد وإلحاد.

إن العصر الذي نعيش لا تكفي فيه الخطب والمواعظ العاطفية، بل لا بد من مخاطبة العقل بجانب ذلك. وهي دعوة ليست من بنات أفكارنا، ولكنها منهج القرآن في مخاطبة كل الناس، إذ خاطب القرآن في البشر عقولهم وعواطفهم في آن واحد: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾(٨٨). ويقول تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾(٨٩).

---

(٨٧) سورة يونس، الآية: ١٠١.

(٨٨) سورة الغاشية، الآيات: ١٧ - ٢٠.

(٨٩) سورة النمل، الآية: ٦١.

إن تجلية هذا النوع من الإعجاز يحفظ علينا ديننا وأبناءنا من الارتماء في أحضان الكفر، ومن إباحية مدمِّرة لا تفرق بين الصغار والكبار.

ويذكر الأستاذ محمد الغمراوي أثر الإعجاز العلمي في تعميق الإيمان فيقول: «هذا النوع من الإعجاز يعجز الإلحاد أن يجد موضعاً للتشكيك فيه إلا أن يتبرأ من العقل، فإن الحقيقة العلمية لم تعرفها الإنسانية إلا في القرن التاسع عشر أو العشرين مثلاً - التي ذكرها القرآن - لا بد أن تقوم عند كل ذي عقل دليلاً محسوساً على أن خالق هذه الحقيقة هو منزل القرآن»(٩٠).

إن هذا الكنز الثمين من إعجاز القرآن والسنة في النواحي العلمية، لا بد أن يعرفه كل مسلم ليستنير قلبه بالإيمان، فما هذا النوع من الإعجاز إلا البرهان الذي أخبرنا الله تعالى به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾(٩١)، فكيف لا نسعى لنستنير بهذه النور المبين؟ وكيف لا نزيد إيماننا ونثبِّته بما في القرآن والسنة من براهين تدعو إلى اليقين؟.

يقول الأستاذ محمد الغزالي: «لا سبيل إلى معرفة الله عن طريق التأمل في ذاته، فإن الوسائل معدومة، وإنما طريق التعرّف على الله يبدأ من التأمل في خلقه، وعن طريق التفكير السليم في الحياة والأحياء واستخلاص المعارف القيمة الخارجة من الأرض، أو النازلة من السماء، وعلى ضوئها يمكن أن ندرك طرفاً من عظمة الخالق الأعلى، وما ينبغي أن يوصف به من كمال. وكلما زادت معرفتنا بمادة الوجود وسره، وانكشفت لنا آياته وخباياه، أحسسنا أن عظمة المبدع الماجد فوق ما يطيقه وعينا المحدود، وأن التحية التي تقدّم لهذا الإله الجليل: هي الاعتراف بأن مظاهر وجوده بهرت كما بهر السنا المتألق عيون الناظرين.

إن درساً في الكيمياء أو الأحياء هو صلاة خاشعة، وإن سياحة في علم الأفلاك هي تسبيح وتحميد، وإن جولة في الحقول الناضرة والحدائق

---

(٩٠) محمد الغمراوي: الإسلام في عصر العمل ص ٢٥٩د دار الكتب الحديثة ١٩٧٨.

(٩١) سورة النساء، الآية: ١٧٤،

الزاهرة، أو جولة مثلها في المصانع الطافحة بالحركة المائجة بالوقود والإنتاج هي صلة حسنة بالله»(٩٢).

«وكلما تقدمت العلوم، فإنها ستدفع - بعد تمحيصها واتصال آثارها الصحيحة - بالنفوس الإنسانية إلى غاية واحدة، وهي تحقيق الإسلام، وأنه الحق الذي لا شك فيه، وأنه فطرة الله التي فطر الناس عليها»(٩٣).

٢ - إعطاء معنى دقيق للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت عن بعض المسائل العلمية: إذا كان الكشف عن وجوه الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، من شأنه أن يسهم في تعميق الإيمان في النفس البشرية، فإن له فائدة أخرى، تتعلق بمن يتصدون لتفسير القرآن، أو لأحاديث الرسول - عليه الصلاة والسلام - في جانبها العلمي، تفسيراً أقرب ما يكون إلى مراد الله تعالى ومراد نبيّه - عليه السلام - وفي ذلك يقول الأستاذ الرافعي: «ولقد كانت معاني هذه الآيات الشريفة (أي الآيات العلمية) منظوراً إليها من جهة العقائد فحسب، ولم يكن أحد يستطيع أن يذهب في تأويلها مذهباً يصدر فيه عن علم. ولكن هذه الحالة تغيرت الآن، لأن الحكماء الذين نبغوا في العصرين الأخيرين قد أبانوا بمباحثهم العلمية، وما كشفوه من الغوامض الدقيقة عن قدرة الله بأجلى بيان، حتى أصبحت نظريات علم التكوين صالحة لتفسير آيات الله - سبحانه - تفسيراً بديعاً، مع أنها هي في حالتها الراهنة لم تبلغ بعد حد الكمال»(٩٤).

ويذكر الرافعي أن في العلوم الحديثة - على اختلافها - لعوناً على تفسير بعض معاني القرآن، والكشف عن حقائقه، وإن فيها دربة لمن يتعاطى ذلك، يحكم بها من الصواب ناحية، ويحرز من الرأي جانبا، وهي تفتق له الذهن،

---

(٩٢) محمد الغزالي: نظرات في القرآن ص ١٣٤.

(٩٣) إعجاز القرآن ص ١٤٣.

(٩٤) المصدر السابق ص ١٤٨.

وتؤاتيه بالمعرفة الصحيحة، وتُخرج له البرهان وإن كان في طبقات الأرض، وتُنزل عليه الحجة وإن كانت في طبقات السماء»(٩٥).

وهذه مسألة في غاية الأهمية، ذلك أن الذين يرجعون إلى تفسير القرآن وشروح السنّة إذا وجدوا تطابقاً بين ما أشار إليه القرآن والسنة من حقائق علمية، وبين ما توصّل إليه العلم، فإن هذا يزيدهم إيماناً بالله تعالى، ولا شك أن التفسير الصحيح للآية أو الحديث، والذي ينسجم مع حقائق العلم له دور كبير في ذلك.

وفي الغالب تكون النتيجة عكسية، إذا كان التفسير لِلآية أو الحديث لا يتفق مع ما توصّل إليه العلم في الوقت الحاضر، ونحن نعذر علماءنا السابقين في إعطاء تفسير غير دقيق لبعض نصوص الوحي من القرآن والسنّة في الجانب العلمي، فهناك من المعاني ما لم يظهر إلا في الوقت الحاضر، بفضل تطور العلوم وآلات البحث والنظر، والتي نستطيع من خلالها إعطاء المعاني الدقيقة لما جاء به الوحي على نبيه عليه الصلاة والسلام.

إن تفسير الآيات والأحاديث التي تتعلق بالأمور العلمية على وجه دقيق، لم يكن ممكناً في العصور السابقة، إذ أن المعرفة اللغوية لا تكفي وحدها في فهم نصوص القرآن والسنّة، بل يجب بالإضافة إليها امتلاك معارف علمية شديد التّنوع.

ومن هنا فإن من يتصدّى لتفسير القرآن أو شرح أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام لا بد أن تكون عنده هٰذه المعرفة، حتى يعطي المعنى الدقيق لمنطوق الوحي.

وسأورد هنا مثالاً واحداً، يبيّن ما وقع فيه جمهور المفسرين من تفسير يتعارض مع ما توصّل إليه العلم حديثاً، وهم معذورون في ذلك بحكم معرفتهم وقتها، وذلك عندما اعتبروا أن اللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان من البحار المالحة فقط دون العذبة، وذلك في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾(٩٦).

---

(٩٥) المصدر السابق ص ١٤٢ - ١٤٣ بتصرف.

(٩٦) سورة الرحمن، الآية: ٢٢.

قال الطبري: «ولا يخرج من الأنهار الحلوة حلية»(٩٧). وقال ابن كثير: «والحلية إنما هي من المالح دون العذب»(٩٨). على الرغم من وجود آية صريحة أخرى بأن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحار العذبة والمالحة سواءً بسواءٍ، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ﴾(٩٩).

وبعد زمن يأتي العلم ليقول لنا: إن البحار العذبة يخرج منها اللؤلؤ والمرجان، كما يخرج من البحار المالحة. يقول محمد رشيد رضا: «(والصواب أن اللؤلؤ يخرج من بعضها (أي الحلوة) كبعض أنهار الهند)، ثبت ذلك قطعاً، واستدركه (سايل) مترجم القرآن باللغة الإنجليزية على البيضاوي، وهو ما أخبر به القرآن من حقائق الأكوان التي لم تكن معروفة عند العرب، حتى في أيام حضارتهم واستعمارهم للأقطار»(١٠٠).

وأورد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ﴾.... الآية(١٠١) حديث البارج الإنجليزي(١٠٢) الذي اهتدى إلى الإسلام بفضل هذه الآية وأمثالها من الآيات التي تتحدث عن البحار والسفن وأحوالها، وعُرف أن العرب لم يكونوا يعرفون ما عرفه الإنجليز وغيرهم من بعدهم، وهو أن اللؤلؤ والمرجان يخرج من البحار الحلوة كما يخرج من البحار المالحة، فتأولوا خروجه من أحدهما فقط، وهو المالح.

وسأل البارج الإنجليزي المسلمين في بعض ثغور الهند إذا كان النبي قد سافر في البحار؟ فذكروا له أنه لم يُرْوَ عنه ذلك قط، فاعتقد أن ما في القرآن لم يكن

---

(٩٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٨ ص ٣٦.

(٩٨) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٧٢.

(٩٩) سورة فاطر، الآية: ١٢.

(١٠٠) تفسير المنار ج ٨ ص ١٠٦.

(١٠١) سورة يونس الآية: ٢٢.

(١٠٢) هو: عبد الله بروان.

إلا وحيا من الله تعالى للرسول ﷺ، وأسلم عن علم وبصيرة، وأقام في مصر، وتعلّم العربية(١٠٣).

ويذكر الشيخ محمد الشنقيطي صحّة خروج اللؤلؤ والمرجان من المياه العذبة كذلك. وفي هذا يقول: «واعلم أن ما ذكره الحافظ ابن كثير - رحمه الله - وغيره من أجلاء العلماء من أن قوله تعالى: ﴿**يخرج منه اللؤلؤ والمرجان**﴾ يراد به البحر المالح خاصة - دون العذب - غلط كبير، لا يجوز القول به، لأنه مخالف مخالفة صريحة لكلام الله تعالى، لأن الله ذكر البحرين: المالح والعذب بقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾(١٠٤). ثم صرح باستخراج اللؤلؤ والمرجان منهما جميعاً بقوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾، والحلية المذكورة هي اللؤلؤ والمرجان. فقصْره على المالح مناقض للآية صريحاً كما نرى»(١٠٥).

ويعلق عمر بن محمد الملباري(١٠٦) على قول الجمهور قائلا: والذي حمل المفسرين على القول بأن اللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان من البحر المالح دون العذب، ما كان شائعاً في عصرهم من استخراجهما من الملح دون العذب، فتكلف المفسرون توجيه معنى الآية، وسوّغوا ذلك بجواز استعمال ضمير الاثنين للواحد، مع أن عكس ذلك - وهو استعمال ضمير الواحد للاثنين - كثير في القرآن.

وقد استعمل القرآن في الآية فعل (يخرج) الصالح للحال وللاستقبال، وقد قال الله في آية أخرى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(١٠٧).

---

(١٠٣) تفسير المنارج ١١ ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(١٠٤) سورة فاطر، الآية: ١٢،

(١٠٥) الشنقيطي: محمد الجنكي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج ٢ ص ٢١٠، الرياض، المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٣ - ١٩٨٣.

(١٠٦) له رسالة بعنوان: إعجاز القرآن بمسألة اللؤلؤ والمرجان «لم يتسنّ لي الإطلاع عليها»،

(١٠٧) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

وعلق «الملباري» على ذلك بالقول: «فليكن خروج اللؤلؤ والمرجان من النهر العذب من الآيات التي سيريها الله لعبادة في الآفاق!»(١٠٨).

ويؤكد عبدالمجيد الزنداني خروج اللؤلؤ والمرجان من الأنهار الحلوة، وذلك كبعض أنهار الصين واليابان وأمريكا، وذكر طريقة لاستخراج اللؤلؤ من أنهار العرب، وهي أن السيول -إذا انحدرت إلى البحار جرفت معها الصخور التي تحتوي على المعادن. ومنها: اللؤلؤ، والذهب، والفضّة، فتستخرج بطريقة الغربال(١٠٩).

إن تفسير القرآن على وجه يتفق مع حقائق العلم الثابتة، من شأنه الدلالة على أن الوحي والعلم إنما يصدران من مشكاة واحدة، مما يعزّز الإيمان في النفوس، ويمنحها دفء اليقين الذين ينير للإنسان الطريق وسط تيارات فكرية وفلسفات مادية، تزرع الشك وتهدي إلى الضلال، وتصرُّ على الفصل بين العلم والإيمان.

٣ - تصحيح مسار العلم التجريبي:

إن الثورة العلمية اليوم قد قامت على أساس الفصل بين الدين والعلم، بل والعداء للدين. وترسَّخ في أذهان بعض الناس أن الدين والعلم لا يجتمعان، ولئن كان لهذا مبرّراته التي حدثت في الغرب، بسبب عداء الكنيسة للعلم والعلماء، فإن الأمر مختلف تماماً في الإسلام، لأن الإسلام لم يدخل في خصومة مع العلم في يوم من الأيام، بل احتضن العلم في أول آيات تتنزّل على الرسول ﷺ.

إن العلوم اليوم - في غالب الأحيان - تتحرك باتجاه مضاد للدين، هكذا أريد لها. وهو موقف خطير ينبغي تصحيحه، ليظل العلم والإيمان يسيران جنباً إلى جنب، فتسعد البشرية بنتاج العقل الذي يقودها إلى الإيمان بالله، وتعزيز هذا

---

(١٠٨) نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن ص ٢٣٤ - ٢٣٥ بتصرف، بيروت، مؤسسة الرسالة ط٢. ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

(١٠٩) من محاضراته المشار إليها في هامش (٧٨) و(٨٦).

الإيمان بما يمنح الإنسان من يقين، يعجز الإلحاد عن التشكيك فيه، أو النيل منه.

وبإمكان المسلمين اليوم التقدُّم لتصحيح مسار العلم في العالم، ووضعه في مكانه الصحيح، من خلال إبراز الجوانب العلمية التي وردت في القرآن والسنّة، وبيان الأسبقية الزمانية لما جاء به الوحي، مما توصّل إليه العلم في الوقت الحاضر. ولا شك أن الكشف عن نواحي الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة يُعد إنجازاً رائعاً، يعيد العلم إلى محضنه الأول، لينمو في ظلّه الإيمان، فيؤتي ثماره في عمارة الكون على أسس سليمة بعيدة عن تطاول المارقين على الدين.

ولعلّ هذا الأمر يحضُّ المسلمين على اكتشاف أسرار الكون بدوافع إيمانية، تعبر بهم فترة التخلف التي عاشوها فترة من الزمن. وسيجد الباحثون في كلام الله عن أسرار مخلوقاته، أدلة تهديهم أثناء سيرهم في أبحاثهم، تقرّب لهم النتائج، وتوفر لهم الجهود.

المبحث الخامس

دور المؤسسات العلمية والإعلامية في تأصيل العقيدة عن طريق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

لما للإعجاز العلمي من أثر بالغ في تأصيل العقيدة في النفوس، فإنه ينبغي للمؤسسات العملية والإعلامية أن تعتني بهذا النوع من الإعجاز، لأنه لغة العصر، وهو التحدي الذي يوقف تيارات الإلحاد والتشكيك الوافدة إلى عالمنا الإسلامي،

وفي المقابل فإن التركيز على هذا النوع من الإعجاز له الدور الكبير في تربية هذا الجيل، تربية مستمدة من الكتاب المعجز، والسنّة المطهرة، مما يحفظ على أبنائنا دينهمَ ودنياهم، ويظل النشاط البشري - بكافة أشكاله - يسير في ظل الوحي الإلهي، فتستقيم الحياة الإنسانية، وتسخر طاقاتها فيما يعود عليها بالنفع الكبير.

والذي أودّ التنبيه إليه: أن الطالب في مؤسساتنا العلمية - على اختلاف أشكالها - بحاجة ماسة لإدراك العلاقة بين دينه الذي ينتمي إليه، وبين العلم الحديث، الذي يمثّل مساحة واسعة من ممارسات عصرنا الراهن، ومعرفة المواقف المتبادلة بين القرآن الكريم والسنّة المطهرة من جهة، وبين الرؤية العلمية من جهة أخرى، من أجل أن يزداد إيماناً وأصالة وتوحّداً.

ولكن الذي يحدث - وللأسف - يتحرك باتجاه مضاد، غير علمي ولا مسؤول، مستهدفاً إحداث قطيعة تربوية وتثقيفية بين العلم والدين، تؤول إلى هدفين، كلاهما سيء وممقوت: انتشار خرافة الإلحاد، وتعميق الازدواجية النفسية بين العقل والروح. وأصبح التحضُّر والفهم يقاس في نظر بعض الناس بالبعد عن الدين والانفلات من القيم»(١١٠).

ففي عالمنا الإسلامي كثير من الكتب المدرسية والمؤلفات الجامعية، وكثير من المجلات والصحف، والندوات والمحاضرات، والأنشطة الإعلامية المختلفة تتحرك وفق هذا الأسلوب النكد، الذي يسعى - متعمداً أو غير متعمد - إلى تدمير شخصية الإنسان المؤمن وتفكيكها(١١١)،

قد يكون هذا الموقف مبرِّرا إزاء التعامل مع معطيات الديانات المحرّفة والمذاهب الوضعية، ولكن الأمر يختلف تماماً في الإسلام، لأن القرآن والسنّة احتضنا العلم كما تقدّم من قبل.

وفيما يلي بيان لدور المؤسسات العلمية والإعلامية في هذا المجال:

أولاً: الجامعات ووزارات التربية والتعليم:

لا شك في أن الجامعات والمدارس هي محاضن الأجيال الناشئة، فهي البيئة الخصبة لكي تؤتي هذه الجهود ثمارها المرجوّة، فينبغي أن يركّز المسئولون في

---

(١١٠) مدخل إلى موقف القرآن من العلم ص ١٢.

(١١١) انظر: المصدر السابق ص ١٢.

هذه المؤسسات الجهود على الإعجاز العلمي، لأنه يلعب دوراً كبيراً في تشكيل عقلية أبناء هذا الجيل، وهم الذين باستطاعتهم رفع الشبهات العالقة في أذهان بعض ناشئتنا، وتثبيت العقيدة في نفوسهم.

والجامعات ميدان رحب لمثل هذا النوع من الإعجاز، خاصةً في الكليات العلمية، كالطب، والهندسة، والعلوم، والزراعة، ونحوها. وفيما يلي بعض المقترحات في هذا المجال:

١ - توظيف ذوي الكفاءات العلمية البارعة، ممن لهم تجارب طويلة في هذا الميدان، مع الأخذ بين الاعتبار سلامة عقيدتهم، وبعدهم عن اللوثات الفكرية.

٢ - إدخال موضوعات الإعجاز العلمي في المناهج الدراسة الجامعية، لما لذلك من أهمية بالغة في حقل الدعوة الإسلامية، سواء تعلق الأمر بالدارسين في الجامعات، وذلك بتمكينهم من التسلّح بالعلم في دعوتهم، فيدعون إلى دين الله على بصيرة، أو تعلّق الأمر بمن ندعوهم إلى دين الله، إذ تكون دعوتنا لهم قائمة على الحُجّة والبرهان، فتكون استجابتهم إلى الحق أسرع، لأن دلائل الهدى وموجبات الإيمان واضحة أمامهم، فتشرق فطرهم بالرضا واليقين.

٣ - إصدار الكتب والنشرات في فنون العلم المختلفة، والسنن التي يقوم عليها الكون، مع الربط بين خالقها ومنشئها، فالعلم والدين يسيران جنباً إلى جنب، وأنه لا تناقض بينهما، على خلاف ما حصل في أوروبا إبان العصور الوسطى، من صدام بين الدين والعلم، ما زالت آثاره واضحة في كل جانب من جوانب الحياة في المجتمعات العلمانية.

٤ - أن تسهم الجامعات بخبراتها في هذا الميدان، وذلك بعمل الأشرطة المرئية، والوسائل التعليمية الأخرى، وتزويد المدارس بها، لتكون إعداداً للطالب، وتهيئةً له، قبل الوصول إلى الجامعة. يضاف إلى ذلك عقد الندوات والمحاضرات في هذا النوع من الإعجاز.

٥ - أن تقوم الجامعات بعقد مؤتمرات علمية(١١٢) يدعى إليها المتخصصون للتحدث عن مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وعرض أحدث ما توصّل إليه العلم في الوقت الحاضر.

٦ - أن تتعاون الجامعات مع المؤسسات العلمية الخاصة التي لها اهتمام بهذا النوع من الإعجاز، والتنسيق بينها لإبراز الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، على نحو يحقِق الفائدة المرجوة.

٧ - أن تتبنى الجامعات الطلبة النابغين، وترشيد هذا النبوغ فيما يعود على الأمة الإسلامية بالنفع، وبما يخدم التوافق بين الدين والعلم.

المدارس والوسائل التعليمية:

لا يخفى ما للوسائل التعليمية من أهمية في العملية التعليمية، فالوسيلة - التي أعدت إعداداً جيداً - لها أثر واضح في ترسيخ المعلومات في ذهن الطالب، وشتان بين معلم في يده وسيلة ممتازة، وبين معلم محروم من استخدامها.

إنها دعوة للقائمين على التعليم في العالم الإسلامي إلى الاهتمام بإعداد المعلم الصالح، ووجوب تجهيزه بالأداة التعليمية، أو ما يسمى (وسائل الإيضاح).

إن الوسيلة المحكمة التي أعدت بصورة تقنية، تكشف لنا أسرار العالم الذي

---

(١١٢) هذا النوع من المؤتمرات ظهر إلى حيِّز الوجود، ومن المؤتمرات التي عقدت:

أ - المؤتمر الطبي السعودي الثامن بالحرس الوطني، الرياض، في الفترة من ٢٤ - ٢٨ محرم ١٤٠٤هـ.

ب - مؤتمر القاهرة الطبي في القرآن والسنة، في الفترة من ١٠ - ١٣ ربيع الآخر ١٤٠٩هـ.

ج - مؤتمر الإعجاز العلمي في موسكو، بالتعاون مع «أكاديمية العلوم الطبية والمركز الثقافي بروسيا» داخل قاعة «فونت جوريا تشوف»، وذلك في الفترة من ١٧ - ٢٠ ربيع الأول ١٤١٤، الموافق ٣ - ٩/٦، عام ١٩٩٣م. وغير ذلك من المؤتمرات. انظر: مجلة «الإعجاز» الصادرة عن هيئة الإعجاز برابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد الأول - صفر ١٤١٦ ص ٤٣.

نعيش فيه، وتعرض صفحات الكون وما فيه، واضحة ليس دونها حجاب، وهي تساعد على شدّ اهتمامنا وجذب انتباهنا نحو هذه الأمور، ومثل هذه الأداة ستكون عوناً على قضيّة الإيمان في يد المعلم الصالح بإذن الله»(١١٣).

ومثل هذه الوسائل تقدّم إسهاماً كبيراً في تعميق الإيمان وفق المنهج القرآني، إضافة إلى أنها تقدّم الحقائق العلمية التجريبية وفق منهج الإسلام الأصيل.

«إن عرض الحقائق العلمية - ملحوظاً فيها الحكمة الإلهية - يزيد من فهمنا لطبيعة الحقيقة وجوهر الحياة، ويزيد إيماننا بالله في الوقت نفسه»(١١٤)، ويعمّق المفاهيم والحقائق، على نحو تعجز عنه الدروس النظرية.

ثانياً: دور وسائل الإعلام:

وسائل الإعلام - على اختلاف أشكالها - لها تأثير كبير في النفوس، ويقع على هذه الوسائل مسئولية عظيمة في التربية والتعليم، وغرس العقيدة الصحيحة في النفوس. ويعتبر الرائي (التلفاز) أكثر الوسائل الإعلامية تأثيراً، لذا فإن مسئولية القائمين على هذه الوسيلة تتمثل في الحفاظ على نقاء العقيدة الإسلامية، وتعميقها في القلوب، من خلال القيام بعرض لنماذج من الإعجاز العلمي التي جاءت في القرآن والسنة، والتي كشف عنها العلم في الوقت الحاضر، والاستفادة من الأبحاث والتجارب التي توصّل إليها العلماء وعرضها عرضاً سليماً، مع مراعاة المستويات الفكرية المختلفة، والبعد عن الخلافات في فهم النصوص القرآنية والنبوّية.

وأما الإذاعة فمن خلال عقد لقاءات مع العلماء المتخصصين في الإعجاز العلمي، بشرط ألا يطول العرض، حتى لا يملّ السامع، فيفقد العرض قيمته، قبل أن يقف القاريء على حقيقة الإعجاز للآية أو الحديث.

---

(١١٣) عبدالرحمن الباني: الفلم القرآني ص ١٣ - ١٤، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ١. ١٤٠٣ - ١٩٨٣.

(١١٤) المصدر السابق ص ١٧،

كذلك ينبغي على وسائل الإعلام الأخرى - كالمجلة(١١٥) والصحيفة - أن تقوم بدور في هذا المجال، وذلك عن طريق عرض لنماذج من الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة، وربطها بما استجدّ من العلوم والاكتشافات، وهذا الأمر لا بد أن يقوم به علماء قادرون على المقارنة بين النصوص، وبين ما استجد من علوم، مع الحذر من تمييع النصوص، أو إخضاعها لكل نظرية علمية لم تثبت بعد، ولا بد أن يصاحب ذلك عرض بالصور، لتشويق القارىء، وتقريب الحقائق.

أما الكتاب فهو أكثر انتشاراً، وأدوم على مرّ السنين، وهو الصديق الصامت، الذي يطلعك على أسرار العلوم، وهو وسيلة ناجحة، ويمكن من خلاله تركيز الحقائق وتفصيلها على نحو لا يتيسّر في الوسائل الأخرى.

ولقد قطع علماؤنا شوطاً لا بأس به في هذا المقام، وقدموا من قطوف الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة، ما يبعث الأمل في النفوس، بعودة المسلمين إلى سابق عهدهم، عهد الريادة في جميع الميادين.

---

(١١٥) بعد طول انتظار صدر العدد الأول والثاني من مجلة «الإعجاز» إصدار هيئة الإعجاز العلمي برابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، وهما حافلان بالعديد من الأبحاث والمقالات القيّمة المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

الخاتمة

وبعد: ففي ضوء ما تقدّم يمكننا استخلاص النتائج التالية:

١ - أن القرآن والسنّة النبوية قد تضمنا كثيراً من الأسرار العلمية التي كشف العلم اللثام عن بعضها في الوقت الحاضر.

٢ - أن الإسلام أكّد على أهمية النظر في السنن الكونية، لتعميق الإيمان بعظمة الخالق سبحانه.

٣ - أن الإعجاز العلمي للقرآن والسنّة لم ينته بعد، إذ كلما تقدّم العلم تبيّن السبق العلمي للوحي، في دلالة واضحة على مصدر القرآن وأنه تنزيل من حكيم حميد.

٤ - أنه لا يمكن أن تصطدم آية قرآنية وحديث نبوي صحيح مع سنّة كونية، لأن كليهما من الله سبحانه. وأن ما أتى من عندالله لا يمكن أن يناقض بعضه بعضاً بأي حال، وإذا لوحظ أن هناك تعارضاً، فليس بين علم ودين بل بين دين وجهل أخذ سِمَة العلم، أو بين علم ولغو لبس سَمْت الدين. وسنرى أن القرآن والسنّة مستقيمان كل الاستقامة مع الكشوف التي يميط العلم عنها الستار. وذلك من دلائل صدقها وآيات إعجازهما.

٥ - أهمية الإعجاز العلمي في الوقت الحاضر، فهو اللغة التي يفهمها الناس، وينبغي على هذا الأساس أن ينشط علماء الإسلام في تقديم هذا النوع من الإعجاز للبشرية، لتعميق إيمانها بالله.

٦ - مسئولية مؤسساتنا العلمية والإعلامية في استثمار هذا النوع من الإعجاز في الدعوة إلى الله.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.